(١٠٣)

إن من البيان لسحرًا!

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

(سورة الحجرات الآيات: ١٤ – ١٨)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(سورة الحجرات الآيات: ١ – ٥)

* * *

«النبى – عليه السلام – فى خلوته يتعبد ويتهجد وقد مضت أيام على تخييره نساءه أن يسرحهن سراحًا جميلا ليتمتعن بطيبات الحياة الدنيا وترفها وزينتها إذا أردن، أو يصبرن معه وعنده على ضيق الحياة إيثارًا لله ورسوله والدار الآخرة، فاخترن أن يبقين معه، ولم يؤثرن عليه أطايب الحياة.. النبى – عليه السلام – طيبة نفسه بما آثرنه.. قد آثرن أيضًا حين هم بما كان قد هم به من تسريحهن بإحسان – أن يجعلنه فى حل من أنفسهن، يؤثر – عليه السلام – من يشاء على من يشاء.. قد خيرهن – عليه السلام – فاخترنه.. وإن النبى – عليه السلام – لفى خواطره وسبحاته وهو يناجى ربه، يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَٰتِ عَمِّكَ وَبَنَٰتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَٰتِ خَالِكَ وَبَنَٰتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ

وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ (سورة الأحزاب الآيات: ٥٠ - ٥٢)

(يرتفع الوحى)

* * *

«بيت النبى - عليه السلام - وقد زاره رجل وأطال المكث حتى أحرج الرسول عليه السلام منه، لا يدرى ماذا يفعل ليلفته ليتركه لراحته فى بيته.. خرج عنه ثلاث مرات ليخرج فلم يفعل.. وإنه - عليه السلام - لفى حرجه بأدبه الجم.. يستأذن عليه عمر بن الخطاب فيأذن له، بيد أن عمر بن الخطاب يلحظ ما لم يلحظه الضيف، ولم يفته ما ألفى عليه محيا المصطفى - عليه السلام - من ضيق.. مثلما لاحظ أن كثيرين يتابعون الرسول إذا نهض إلى بيته ويبادرونه فيأخذوا المجالس بين يديه فى بيته، فلا يعرف ذلك فى وجه النبى من فرط حيائه وأدبه..».

عمر بن الخطاب : يا رسول الله، لو اتخذت حجابا..

«النبى - عليه السلام - صامت يغلبه حياؤه..».

عمر بن الخطاب : (مستطردًا) يا رسول الله، لو اتخذت حجابا.. ان نساءك لسن كسائر النساء، وذلك أطهر لقلوبهن..

«النبى - عليه السلام - لا يعقب..».

* * *

«النبـى – صلى الله عليه وسـلم – خال إلى نفسـه يتحنث ويتعبد إلى ربه، يوافيه جبريل – عليه السلام – فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٥٣)

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة وقد انقشعت السحابة العابرة عن البيت النبوى، دون أن تغير شيئًا من انصراف الرحمة المهداة – عليه السلام – لتسيير الشئون العامة والخاصة للمسلمين.. كان فتح مكة نقطة فارقة فى بناء مجتمع إسلامى بدأت صورته تتكامل، مركزه فى المدينة، وإشعاعاته منتشرة فى شبه الجزيرة العربية ما بين قبائل أسلمت وصارت زكاة العشر واجبة عليها، وقلّة بقيت على جاهليتها وعليها خراج.. منذ أوائل السنة التاسعة للهجرة ذهبت وآبت بسلام البعثات

التى أرسلها النبى – عليه السلام – لجمع الزكاة والخراج، فيما عدا بعثة عيينة بن حصن الفزارى التى أرسلها – عليه السلام – فى خمسين فارسًا إلى عشـيرة بنى العنبر التميمية التى نهبت زكاة بنى خزاعة!!».

* * *

«المدينـة، وقـد آبت بعثة عيينـة بن حصن غانمة مظفرة، لحقت بالعشـيرة التميمية الهاربة بـزكاة بنى خزاعة، وجلبت أسـراهم إلى المدينة لـيرى فيهم الرسـول – عليه السـلام – رأيه.. لم يشأ عليه السـلام أن يتعجل فى أمرهم، فقد دلتـه بصيرته أن بنى تميم لا بـد قادمون فـى أعقابهم..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى – عليه السلام – وسط صحابته، يتسامع الحاضرون بجلبة على بـاب المسـجد، يدخل على أثرهـا وفد من بنى أسـد بن خزيمـة فى نحو عشـرة.. فيهم طلحة ابـن خويلد.. يبادرون إلى مجلس الرحمة المهداة فيلقون عليه السلام، وينبـرى قائل منهم..».

الأسدى : يا رسـول الله، إنا شهدنا أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله..

«تتعالى تكبيرات المسلمين».

الأسدى : (يستأنف بزهو مخلوط بالمنّ) جئناك يا رسول الله ولم تبعث إلينا، قاتلك العرب ولم نقاتلك، ونحن لمن وراءنا سلم!

«المسلمون صامتون قد أخذتهم اللهجة التى تحدث بها الأسدى!».

حضرمى بن عامر الأسدى : (فى تيه وفخر) أتيناك نتدرع الليل البهيم فى سنة شهباء، ولم تبعث إلينا بعثا..

«النبى - عليه السلام - يشيح معرضًا وينظر فيجد فى الوفد قومًا من بنى الزِّنْيَة - وهم بنو مالك بن مالك بن ثعلبة بن داود بن أسد - فيلتفت - عليه السلام - إليه سائلاً..».

النبى : أنتم بنو الرِّشدة؟

بعضهم : لا نكون مثل بنى محولة: بنى عبد الله بن غطفان.

أحدهم : يا رسول الله، نسألك أن تعطينا «العيافة» (زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها) والكهانة (تعاطى أخبار المستقبل) وضرب الحصى.

«النبى - عليه السلام - يسكت معرضًا!».

بعضهم : يا رسول الله، إن هذه الأمور كنا نفعلها فى الجاهلية، أرأيت خصلةً بقيت؟

النبى : وما هى؟

بعضهم : الخط.. عَلِمه نبى من الأنبياء فمن صادف مثل علمه علم..

«النبى - عليه السلام - يومئ معترضًا على ما يقولون، يدرك القوم أن النبى لا يوافقهم

فيلـوذون بالصمت لا يعقبون بكلمـة.. النبى – عليـه السـلام – يخفق خفقة يتنـزل عليه فيها الروح الأمين فيلقنه من كلمـات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

(سورة الحجرات الآيات: ١٤ – ١٨)

(يرتفع الوحى)

* * *

«المدينة وقد أرخى الليل سدوله.. سودة بنت زمعـه زوجة النبـى – عليه السـلام – تتلمس طريقها إلى الخلاء لتقضى حاجتها.. يلقاها عمر ابن الخطاب فى بعض الطريق – وكانت عريضة جسيمة – فيعرفها، فيناديها متأدبًا ناصحًا..».

عمر بن الخطاب : يـا سـودة، أمـا والله ما تخفـين علينـا.. فانظرى كيف تخرجين..

«سـودة يدهمها الخجـل، فتنكفئ عائدة إلى البيت.. تسـارع إلى الدخول فتلقى رسول الله –

عليه السلام – يتعشى وفى يده عرق، فتبادره مضطربة وقد تغشاها الخجل والحياء!».

سودة بنت زمعة : يا رسول الله، إنى خرجت لبعض حاجتى فصادفنى عمر، فقال لى: يا سودة ما تخفين علينا، فانظرى كيف تخرجين!!..

واحدة من نساء النبى : يتعرض لنا بعض المنافقين ويتعللون بأنهم حسبونا بزينا من الإماء!

«النبى – عليه السلام – يطرق ولا يجيب.. تأخذه خفقة، ويتصبب جبينه عرقًا.. يدرك أهل البيت أن الوحى قد أتاه، فينتحين جانبًا بينما يتنزل عليه الروح الأمين فيلقنه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٥٩)

(يرتفع الوحى)

النبى : (لزوجاته وقد ارتفع عنه الوحى) إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن..

إحداهن : ومن يتذرعون لإيذائنا بأنهم لا يتعرفون علينا بزينا من الإماء؟!

النبى : (يتلو) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩﴾ (سورة الأحزاب الآية: ٥٩)

* * *

«البيت النبوى، والنبى – عليه السلام – قد آب إليه لبعض الراحة.. يصل إلى المسجد وفد بنى تميم المرتقب مجيئه لأجل أسرى عشيرة بنى العنبر التميمية.. الوفد التميمى فى نحو ثمانين رجلاً، قدم فيهم عدة من رؤساء بنى تميم فيهم عُطارد بن حاجب بن زرارة، والزِّبرقان ابن بدر، وعمرو بن الأهتم، والأقرع بن حابس، والحبحاب بن يزيد، وقيس بن عاصم، وقيس ابن الحارث، ورباح بن الحارث.. لبثوا بالمسجد برهة، ثم استبطأوا خروج النبى – عليه السلام – فتعجلوا من وراء الحجرات ينادونه..».

التميميون : (منادين بصوت عال) يا محمد اخرج إلينا..
يا محمد اخرج إلينا..
يا محمد اخرج إلينا..

«النبى – عليه السلام – يخرج من بيته متأذيًا من هذا الصياح المنكر.. يصبر – عليه السلام – على سوء صنيعهم، فيبتدره أحدهم يقول..».

الأقرع بن حابس التميمى : يا محمد، إن حمدى لزين وإن ذمّى لشَيْن.

النبى : ذاك الله عز وجل.

بعضهم : (مكررين) إن مدحنا لزين وإن ذمّنا لشين.. نحن أكرم العرب.

النبى : كذبتم بل مدحة الله عز وجل الزَّيْن وذمُّهُ الشّين، وأكرم منكم يوسف بن يعقوب..

التميميون : إنا أتيناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا..

النبى : (فى سماحة) قد أذنت لخطيبكم فليقل.

عطارد بن حاجب : (وهو ينهـض واقفًا يخطب فى خيلاء) الحمد لله الذى له علينـا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكًا ووهب لنا أموالاً عظامًا، نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثره عـددا وأيسـره عُدة، فمن مثلنا فى الناس؟ ألسـنا برؤوس النـاس وأولى فضلهم؟ فمن فاخرنـا فليعدُد مثل ما عددْنا، وإنا لو شـئنا لأكثرنا الكلام ولكنا نستحى من الإكثار فيما أعطانا، وإنـا نُعْرف بذلك. أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا وأَمْرٍ أفضل من أمرنا!

«عطارد يجلس متفاخرًا منتفخ الأوداج!..».

«النبى – عليه السلام – ينادى على ثابت بن قيس الخزرجى..».

النبى : (لثابت بن قيس) قم فأجب الرجل.

ثابت بن قيس : (ينهض) الحمد لله الذى السـماوات والأرض خَلْقُه، قضى فيهن أمره ووسـع كرسـيه علمه، ولم يك شىء قط إلاّ من فضلـه، ثم كان من قدرته أن جعلنـا ملوكًا، واصطفى من خير خَلْقه رسـولا أكرمه نسـبًا، وأصدقه حديثًا. وأفضَله حَسَـبًا، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خَلْقه، فكان خيرة الله من العالمين، ثم دعا الناس إلى الإيمان به، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحِمه، أكْرَمُ الناس أحسـابًا وأحسـن الناس وجوهـاً وخير الناس فعـالاً، ثم كان أول الخلق إجابة، واستجاب الله حين دعاه رسول الله نحن، فنحن أنصار الله ووزراء رسـوله، ندعو الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله، فمن آمن بالله ورسوله، منع منا ماله ودمه

ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا. أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم.

«يجلس».

الزبرقان بن بدر : (ينهض فينشد مفاخرًا):

نَحْنُ الكِرامُ فلاَ حىُّ يعادلنَا ... مِنّا الملوكُ وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ
وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الأحْيَاء كُلِّهِمُ ... عِنْدَ النِّهَابِ وفَضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ
ونَحْنُ نُطْعِمُ عنْد القحْطِ مُطْعمنَا ... مِنَ الشِّواء إذَا لم يُؤنِسِ القَزَعُ
ونُطْعِمُ الناسَ عنْد المَحْلِ كلهمُ ... مِنَ السَّدِيفِ إذا لم يُؤنِسِ القَزَعُ
بمَا تَرى النّاسِ تَأتِينَا سراتُهُمُ ... مِنْ كُلِ أرضٍ هُوِيًّا ثمّ نُصْطَنَعُ
فَنَنْحرُ الكُومِ عبْطًا فى أرُوقَتنا ... للنّازلينَ إذا ما أنْزلُوا شَبِعُوا
فلا تَرانا إلى حىٍّ نُفاخِرُهُمْ ... إلاّ استفادوا فكانوا الرّأس يُقْتطَعُ
فمنْ يُفَاخِرُنا فى ذاك نعْرِفُهُ ... فيرجعُ القوْمُ والأخبارُ تُستمَعُ
إنّا أبيْنَا ولا يأبى لنا أحدُ ... إنّا كذلك عنْد الفَخْرِ نَرْتفَعُ

«النبى – عليه السلام – ينادى على الشاعر حسان بن ثابت..».

النبى : (لحسان بن ثابت) قم يا حسان فأجب الرجل.

حسان بن ثابت : (ينشد):

إنَّ الذَّوائِبَ من فِهْرٍ وإخوتهمْ ... قد بيَّنُوا سُنَّةً للنّاس تُتَّبَعُ
يَرْضَى بهم كلُّ مَنْ كانت سريرتهُ ... تقْوَى الإلهِ وكلَّ الخيرِ يصْطنِعُ
قَوْمُ إذا حارَبُوا ضَرُّوا عدوهُمُ ... أو حاولوا النَّفعَ فى أشياعَهمْ نفعُوا
سَجيَّةٌ تلك منهمْ غَيرُ مُحدثَةٍ ... إنّ الخلائقَ فَاعْلَمْ شرُّهَا البدَعُ
إنْ كان فى النّاس سبّاقُونَ بعدهمُ ... فكلُّ سبْقٍ لأدنَى سَبْقِهِمْ تَبعُ
لا يرفَعُ النّاس ما أوْهتْ أكُفُّهمُ ... عنْد الدِّفاعِ ولا يُوهُونَ ما رَفعُوا
إنْ سابَقُوا النّاس يومًا فازَ سبْقهمُ ... أوْ وازَنُوا أهلَ مَجْدٍ بالندى مَتَعُوا

أَعَفَّةٌ ذُكِرتْ فى الوحى عفَّتُهُمْ ... لا يَطْمَعُونَ ولا يُرديهُمُ طَمَعُ
لا يبخلُونَ على جارٍ بفضْلهمُ ... ولا يَمَسُّهمُ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
إذا نَصَبْنَا لحَيٍّ لم نَدِبَّ لَهُمْ ... كَمَا يَدِبُّ إلى الوحْشِيَّةِ الذَرَعُ
نَسْمُو إذا الحربُ نالَتْنَا مَخَلبُها ... إذا الزُّعانفُ من أظْفَارِهَا خَشَعُوا
لا يفْخرُون إذا نَالُوا عَدُوَّهُمُ ... وإنْ أُصيبُوا فَلاَ خُورٌ ولا هُلُعُ
كأنَّهُمْ فى الوَغَى والموت مُكْتَنِعُ ... أُسْدٌ بِحَلْيَةَ فى أرْساغِهَا فَدَعُ
خُذْ منْهُمُ ما أتَى عَفْوًا إذا غَضِبوا ... ولا يكُنْ هَمُّكَ الأمْرُ الذى مَنَعوا
فإنَّ فى حَرْبهمْ فَتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ ... شَرًّا يُخَاضُ عليه السُّمُّ والسَّلَعُ
أكْرِمْ بقَوْمٍ رسولُ الله شِيعَتُهُمْ ... إذا تَفَاوتَتْ الأهْواء والشِّيَعُ
أهْدى لَهُمْ مَدْحَتى قَلْبٌ يُوازِرُهُ ... فيما أُحِبُّ لسَانُ حائِكٌ صَنَعُ
فإنَّهُمْ أفْضَلُ الأحْيَاء كُلِّهِمُ ... إن جَدَّ بالنَّاس جِدُّ القَوْلِ أوْ شَمَعُوا
يَرضَى بها كُلُّ مَنْ كانتْ سريرتُهُ ... تقْوَى الإلَه وبالأمْر الذى شَرعُوا

الزبرقان :

أتَيْنَاكَ كيْما يعلَمُ النَّاسُ فَضْلَنَا ... إذا اختلَفُوا عنْدَ احْتضَار المَوَاسِمِ
بأنَّا فُرُوعُ النَّاس فى كلِّ مَوْطنْ ... وأنْ لَيْسَ فى أرضِ الحِجَازِ كَدَارِمِ
وإنَّا نَذُودُ المُعْلمينَ إذا انْتخَوْا ... ونَضْربُ رَأسَ الأصْيَدِ المُتَفَاقِمِ
فإنَّ لَنَا المِرْبَاعَ فى كُلِّ غَارَةْ ... نُغِيرُ بِنَجْدٍ أوْ بأَرْضِ الأعَاجِمِ

حسان بن ثابت :

هَلْ المَجْدُ إلاّ السُّؤْدَدُ العَوْدُ والنَّدى ... وَجاهُ مُلوكٍ وَاحْتِمَالُ العَظَائِمِ
نَصَرْنَا وَآوَيْنَا النَّبِىَّ مُحَمَّدًا ... عَلَى أنْفِ رَاضٍ مِنْ مَعَدٍّ وَرَاغِمِ
بحَىٍّ حَرِيدٍ أَصْلُهُ وَثَرَاؤُه ... بجَابِيَةِ الجَوْلاَنِ وَسْطَ الأعَاجِمِ
نَصَرْنَاهُ لَمَّا حَلَّ وَسْطَ دِيَارِنَا ... بأسْيَافنَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَظَالِمِ
جَعَلْنَا بَنِينَا دُونَهُ وَبَنَاتِنَا ... وَطِبْنَا لَهُ نَفْسًا بفَىْءِ الغَنَائِمِ

وَنَحْنُ ضَرَبْنَا النَّاسَ حَتَّى تَتَابَعُوا علَى دِينِهِ بالمُرْهَفَاتِ الصَّوَادِمِ
ونَحْنُ وَلَدْنَا مِنْ قُرَيْشٍ عَظِيمَهَا وَلَدْنَا نَبِيَّ الخَيْرِ مِنْ آلِ هَاشَمَ
بَنِي دَارِمٍ لا تَفْخَرُوا إنَّ فَخْرَكُمْ يَعُودُ وَبَالاً عِنْدَ ذِكْرِ المَكَارِمِ
هَبِلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمُ لَنَا خَوَلٌ مِنْ بَيْنِ ظِئْرٍ وخَادِمِ
فَإنْ كُنْتُمِ جِئْتُمْ لِحَقْنِ دِمَائِكُمْ وأَمْوالِكُمْ أن تُقْسَمُوا فِي المَقَاسِمِ
فَلاَ تَجْعَلُوا للهِ نِدًّا وَأَسْلِمُوا ولاَ تَلْبَسُوا زِيًّا كَزِيِّ الأَعَاجِمِ

الأقرع بن حابس : (يشير إلى النبى – عليه السلام – مقرًا فى تسليم) وأبى إن هذا الرجل لمُؤَتىً له، لخطيبه أخطب من خطيبنا ولشاعره أشعر من شاعرنا!

«التميميون يصادقون على كلام الأقرع.. يسارعون تباعا إلى النبى – عليه السلام – فينطقون بالشهادتين، بينما تتعالى تكبيرات المسلمين..».

«بعد هنيهة وقد هدأت الأصوات، واجتمع التميميون حول رسول الله – عليه السلام.. لما يفارقهم بعد ما جبلوا عليه من جفاء وغلظة، يتفاخرون فيما بينهم، ويتسابق رؤساؤهم وتتعالى أصواتهم فى إظهار كل منهم نفسه على الآخرين..».

الزبرقان : (مباهيًا) يارسول الله أنا سيد تميم، والمطاع فيهم والمجاب منهم.. آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم.. (يشير إلى عمرو بن الأهتم) وهذا يعلم ذلك.

عمرو بن الأهتم : (معرضًا) إنه لشديد العارضة، مانع لجانبه، مطاع فى أدانيه!

الزبرقان : والله يا رسول الله لقد علم منى غير ما قال، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد!

عمرو بن الأهتم : (مستهزئًا) أنا أحسدك؟!..(يستأنف) فوالله إنك للئيم الخال، حديث المال، أحمق الولد، مبغض فى العشيرة.. (يستأنف) والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولا، وما كذبت فيما قلت آخرًا، ولكنى رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت فى الأولى والأخرى جميعا..

النبى : (وهو يهدئهم ويوقف ما شجر بينهم) إن من البيان لسحرًا

* * *

«النبى – عليه السلام – فى خلوته يتعبد ويناجى ربه، يتنزل الروح الأمين فيلقنه من آيات ربه..».

جبريل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ (سورة الحجرات الآيات: ١ – ٥)

(يرتفع الوحى)

«المدينة.. يتحدث المسلمون بأن بعض الناس له أكثر من اسم، منها ما يحبه ويرتضيه، ومنها

ما يكرهه.. والمنادون يتفاوتون فى نواياهم.. منهم من يحب أن ينادى الشخص بما يكرهه.. ومن المنافقين من كانوا قد أضمروا الاستهزاء ببلال بن رباح وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر وسلمان الفارسى وسالم مولى أبى حذيفة، ويتحاكى المسلمون بيوم غضب ثابت بن قيس بن شماس.. كان فى أذنه وقر، فلا يسمع بسهولة، فإذا أتى النبى عليه السلام أوسعوا له حتى يجلس إلى جواره فيتاح له أن يسمع ما يقول. جاء يومًا وقد أخذ الناس بمجالسهم، فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول لهم: تفسحوا تفسحوا! فضاق صدر رجل فقال له: قد أصبت مجلسًا فاجلس، فجلس ثابت مغضبًا، فغمز الرجل فقال: من هذا؟! فطفق الرجل: يعرفه بنفسه.. ولكن ثابت عاجله مضيفًا: ابن فلانة، وذكر أما للرجل كان يُعَير بها فى الجاهلية، فنكس الرجل رأسه استحياء.. وآخرون يتعمدون أن ينادوا أناسًا بألقاب لا يحبونها ويكرهونها كانت لهم فى الجاهلية.. ويتناقل البعض ما انجرف إليه بعض القرشيين يوم أن أَذَّنَ بلال بن رباح من على ظهر الكعبة، فجعلوا يقولون: أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة، ويتذاكر البعض اعتراض بنى بياضة على تزويج امرأة منهم من أبى هند قائلين كيف نزوج بناتنا موالينا؟! بينما يفرط

من البعض اغتياب سلمان الفارسى والتندر عليه حـال رقاده بعد أن أكل طعامًا نفخه.. ويتحدث البعض فى شـأن من ضاقوا بدعوتهم إلى الإفساح لبعض أهل بدر ليجلسـوا بقـرب الرحمة المهداة عليه السلام بالمسجد النبوى.. الإسلام لا يرتضى أن يسـخر قوم مـن قوم أو يسـتهزئوا بهم، ولا يقر الهمـز واللمز ولا التنابـز بالألقاب، لا بين الرجـال ولا بين النسـاء، ولا أن يغتاب البعض أحـدًا أو يتحدث عنه فـى غيابه بما لا يحبه، ولا أن يتعالى أحد على أحد بعد أن وَحَّدَ الإسلام بينهم لا فضل لأحد على آخر إلاَّ بالتقوى والعمل الصالح..».

«النبـى - عليه السـلام - خال إلى نفسـه، يناجـى ربـه، ويتجه إليه بضراعتـه أن يهدى عبـاده إلى سـواء السـبيل، وإذ هـو فى تحنثه وابتهالـه، يتنـزل عليه جبريل عليه السـلام، فيوحى إليه من آيات ربه..».

جبريل : (يتلـو على محمد) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا

خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (سورة الحجرات الآيات: ١١ - ١٣).

(يرتفع الوحى)

* * *